البيرق 30/12/1954

ميشال شيحا

بقلم أسعد عقل

فاجعة اليمة فاوحة هذه التي وقعت عند منتصف الليل الاسبق ٢٨-٢٩ كانون الاول ١٩٥٤ ، بوفاة رجل العلم والادب والشعر والصحافة والاقتصاد ، المجاهد اللبناني الحر والمفكر العبقري

ميشال شيحا

انها لخسارة جسيمة تقع على قلب لبنان ، فنفقده الفارس المجلي في كل ميدان .

تعب القلب الكبير في حمل هذه الحياة ، فتوقف عن الحركة ، ولبنان والانسانية ما يزالان باشد الحاجة الى نبضاته وخفقاته .

– البقية في الصفحة ٤ –

(تتمة) المقال الافتتاحي

سكت الدماغ المفكر ، ذو النظرة الصائبة والرأي السديد ، بعد ان اجهده النضج والاطلاع ، بعد ان ألم بالحياة واسرارها من كل جانب ، بعد ان اضاء لبنان والشرق بحكمته الرائعة ، وما تجلى في شوارده من مرونة وسحر وبلاغة واتزان .

لم نصدق الناعي ، ولم يستوقفنا تفجع ونوح ، اذ ان الامة الخلاقة التي انبتت امثال ميشال شيحا من رجال الفكر الخالدين ، ما زالت باشد الحاجة الى روحه المترفعة الزاهدة المسالمة ، وعقله الواعي وقلبه الرقيق المرهف الحس .

احب لبنان منذ نعومة اظفاره بعد حبه لله

واحب اللبنانيين جميعا ، دون تفرقة ولا تمييز .

وأحب الطبيعة اللبنانية ، والجبل والسفح والبحر بما لا يحده وصف .

وأحب الحقل وفراشاته والروضة وعصافيرها والزهرة واريجها والغدير وهديره ، فكان حبه لبلده وأمته ، قريباً من تعلقه بالسماء ، وتعبده ، وهو الورع المتقي المؤمن ، الخالق الديان .

طاف اوروبا والغرب اكثر من مرة ، ولكن الحضارة الغربية وعظمة تاريخها وآيات جمالها ، لم تكن لتصده عن وطنه الصغير ، فكان قلبه عالقا بلبنان .

تولى النيابة عن بيروت في عهد رئاسة المرحوم شارل دباس ، بين ١٩٢٥ و١٩٢٨ ، وهو المجلس الذي وضع الدستور اللبناني ، وكان رفاقه على القائمة من نواب بيروت المرحوم عمر الداعوق ، عمر بيهم ، جورج فيليب ثابت ، المرحوم بترو طراد ، فكان ميشال شيحا مثال النائب الناضج النزيه العالم الحر ، يرجع في القضايا الصعبة الى توجيهاته وارائه .

ولما انتهت مدة ولاية ذلك المجلس ، ابى ميشال شيحا ان يرشح نفسه ، وقال لرفاقه من اعيان العاصمة وجماهير ناخبيه : خذوا الدكتور ايوب ثابت ، على ما هو مشهور .

ومن الادلة على تعلقه بلبنان ، انه احب الطبيعة حباً منقطع النظير ، فجاورها صيفاً شتاء ، وابتنى له منزلا رحبا في جرج بعبدا بضاحية العاصمة جعله مسكنا لاقامته في السنوات العشر الاخيرة ، قريبا من البلابل المغردة وفراشات الحقل الملونة ، والمناظر الخلابة التي طالما تأمل اسرارها ووصف اخبارها في مقالاته اليومية البليغة على صدر جريدته الراقية الرزينة المرملة « لوجور » .

ان لبنان قد خسر بوفاة ميشال شيحا المبكر ، وهو لم يتجاوز السادسة والخمسين ، كاتباً بليغا نحريراً ، كانت مقالاته في الصحافة منارة هدى وفصاحة ، كما كانت قصائده الرفيعة باللغة الفرنسية من ابلغ ما صوره خيال شعراء الفرنجة المتقدمين والمعاصرين .

واجمل ما في تلك البراعة ، اناقتها ونزاهتها وترفعها عن كل جدل بذيء وابتعادها عن منحدرات الابتذال .

ومع ان الله انعم عليه بثروة كبيرة وجعله في طليعة رجال البنوك والمال والاقتصاد ، بحكم توليه منذ ثلث قرن مديرية بنك فرعون وشيحا ، فان الجاه والثروة لم تدفعا به في دروب الكبرياء والخشونة والغرور ، فكان انساناً اصيلا ، ومواطناً متواضعاً حبيباً ، يكره الشهرة والاطراء ، ويبتعد جهد الطاقة عن صدور المجالس ، ويعمل في حقل الوطنية على نور سيادة لبنان ومناعة كيانه وصداقته للقريبين والبعيدين ، في عزلته الجميلة ، بجو من الطمأنينة والسكون .

لم يبعده المال عن قلمه ، فكتب وعبر حتى آخر لحظة من حياته .

وكان لبنان ، في جميع مراحل الشباب والجهاد والحياة ، قبلة انظاره واحلامه والهامه .

ومنذ اصيب بمرضه الاخير منذ عشرة ايام ، اذ انقطع عن الكتابة من مريره ، يوم ١٨ كانون الاول الجاري ، اتجه بصره من النافذة ، ومن وراء السجوف الشفافة ، ليلقي على الطبيعة الصاخبة الممطرة ، التي طالما تأمل جمالاتها ، نظرات الحب والوداع !

ان ميشال شيحا الذي خسره لبنان والادب والاقتصاد ، من افذاذ هذا الجيل !

وسيحفظ اللبنانيون ذكره المعطر الى الابد !

اسعد عقل